على عزت بيجوفيتش
(3)
محاكمة سراييفو وتجربة السجن الثانية:

لا أدرى لم ألح على ذاكرتي وأنا أكتب هذه الحلقة من سيرة على عزت بيجوفيتش ما درسته – بانبهار شديد – منذ خمسين عاماً عن الفيلسوف الإغريقي سقراط ونهايته المأساوية في السجن؟ .. ربما كان السبب هو تشابه في بعض الملامح الشخصية المشتركة بين الرجلين، فقد كان سقراط – مثله مثل على عزت – من أشد المفكرين دفاعاً عن الحق والعدل والقيم الأخلاقية والحرية الإنسانية، وكان سقراط مثل على عزت في تصديه للانتهازية والسفسطائية التي سادت المجتمع اليوناني في زمنه، هذه السفسطائية التي أسقطت معايير الحق والعدل وأخضعتها للهوى الشخصي والمصالح الفردية، ومكنت للسفهاء والجهال أن يستولوا على مقاليد السلطة والإدارة وأن يفسدوا القضاء، قدم السفسطائيون سقراط إلى المحاكمة بتهمة إفساد الشباب.

وكل ما كان يفعله سقراط هو أنه دأب على محاورة الشباب لتصحيح مفاهيمهم عن الحق والعدل والحرية فاجتذبت طريقته في الحوار جمهوراً من الشباب أصبح يشكل في نظر الساسة معارضة خطرة لفلسفتهم الانتهازية ومحاولة لزعزعة سلطانهم في المجتمع.

نصحه بعض أصدقائه أن يستعطف المحكمة لتخفيف الحكم عليه أو العفو عنه فقد كان هذا أسلوباً شائعاً ومثمراً في ذلك الزمن، ولكنه بل إنه لم يحاول الدفاع عن نفسه وإنما تصدى للقضاة متحدياً لهم حيث قال: **(لو أنصفتم حقاً لجعلتم مكانكم في مقعد القضاء ولنزلتم أنتم مكاني هنا في قفص الاتهام لأحاسبكم على جرائمكم ضد الحق والعدل وضد المواطنين الأبرياء.**

وعندما أدخل سقراط السجن تمهيداً لتنفيذ حكم الإعدام فيه دبر تلاميذه له فرصة للهرب من سجنه ولكنه أبى مرة أخرى أن يستجيب لرجائهم مفضلاً مواجهة الموت بشجاعة على الفرار الذليل.

الاتهام بالتآمر لقلب نظام الحكم:

في سنة 1983 اعتقل على عزت بيجوفيتش مع ثلاثة عشر من زملائـه قادة الفكر والمثقفين الإسلاميين، وكانت تهمتهم هي القيام بثورة مضادة والتآمر ضد نظام الحكم وانفرد على عزت بتهمة التمهيد لقلب نظام الحكم وإنشاء دولة مقتصرة على المسلمين في البوسنة، بمعنى إخلاء البوسنة والهرسك من غير المسلمين عن طريق التصفية أو التطهير العرقي.

لم يكن هناك أسلحة ولا ميلشيات مدربة ولا مظاهرات ولا منشورات ولا أجندة اجتماعات سرية ولا حتى ورقة واحدة مكتوبة .. ولكن هل يحتاج أي نظام دكتاتوري مستبد إلى شئ من هذا المبرر اعتقال مواطنين أبرياء وتقديمهم إلى المحاكمة بأي تهمة ملفقة؟!..

وهل يحتاج مثل هذا النظام إلى شهود حقيقيين إذا كان في مقدوره دائماً أن يزود المحكمة بشهود زور تم تلقينهم بواسطة خبراء الشرطة السرية!؟..

هذا ما حدث في محاكمة سراييفو: **(تكرار نمطي تقليدي في النظام الشيوعي تقارير الشرطة السرية بتوجيه مباشر من وزير الداخلية نفسه كما ثبت من تحقيقات لاحقة)، ومجموعة من شهود الزور تم اختيارهم وتلقينهم بواسطة خبراء متمرسين تحت الإرهاب والتهديد.**

الوثيقة الوحيدة المكتوبة التي قُدمت إلى المحكمة كانت كتاباً صغيراً بعنوان (الإعلان الإسلامي) من تأليف على عزت بيجوفيتش ولم يكن بهذا الكتاب شئ جديد .. بل سبق نشر محتوياته كلها في سلسلة مقالات خلال عقد السبعينات في مجلة المسلمين الرسمية وكانت السلطات الشيوعية في عهد تيتو على علم كامل بوجود هذه المقالات ولم تعترض عليها، قرأت الكتاب وقمت بترجمته إلى العربية ونشرته دار الشروق سنة 1999، وسيجد القارئ أن هذا الكتاب معنى بالشأن الإسلامي في عمومه وبمشكلات المسلمين في العالم .. وليس فيه إشارة واحدة ليوغسلافيا أو البوسنة ومع ذلك اعتبرته السلطات وثيقة اتهام .. ولذلك يبدو كلام ممثل الإدعاء في المحكمة عن الكتاب أمراً مثيراً للعجب ومثيراً للسخرية والضحك في آن واحد.

عبثية المحاكمة:

كانت المحاكمة كلها من بدايتها إلى النهاية مسرحية هزلية عبثية، لم تخل من مواقف مثيرة للضحك، وفي هذا يسوق على عزت في مذكراته نموذجين من شهادة الشهود:

النموذج الأول: **تمثله شاهدة تدعى (نيرمينا) عندما وقفت أمام القاضي، وقد نبهها القاضي بضرورة أن تشهد بالحق ولا شئ غير الحق وإلا قضت عليها المحكمة بالسجن خمس سنوات لشهادة الزور .. ولأن المرأة كانت حسنة النية صدقت القاضي وشعرت كأنه قد ألقى إليها بطوق نجاة .. ولكنها تذكرت تهديدات**

رجال الشرطة السرية ألا تقول في المحكمة سوى الكلام الذي لقنوه إليها .. فسألت القاضي: هل حقاً ستحميني إذا قلت الحقيقة؟..

ويبدو أن القاضي قدر أنها تقصد حمايتها من أسر المتهمين فأجابها على الفور: بالتأكيد سوف نحميك، فما أن بدأت الشاهدة تدلي بشهادتها حتى ظهر الذهول واضحاً على وجه القاضي وعلى وجوه الحاضرين في المحكمة أما نائب الإدعاء فقد أصيب بصدمة كأن جداراً سقط على أم رأسه.

قالت المرأة: (كل شئ وقعت عليه أثناء التحقيق والذي اعتبروه شهادتي هو كلام لم أقله وإنما كتبه الضابط المحقق بنفسه ثم أمرني بالتوقيع عليه تحت الضغط والإرهاب .. وكان المحقق حريصاً على أن أردد على مسامعه عبارات معينة مما كتبه مرة بعد مرة حتى فقدت القدرة على المقاومة .. لقد استجوبتني الشرطة عدة مرات وأمضيت في قسم الشرطة السرية ستة أيام لكي يتأكدوا أنني حفظت الشهادة التي من المفروض أن أدلي بها أمام المحكمة عن ظهر قلب) .. وعندما وصلت المرأة إلى هذه النقطة شعرت وكأنها قد تخلصت من كابوس كان يجسم على صدرها وبدا أن ضميرها قد استيقظ ليأخذ بزمام الوعي، فاستعادت توازنها وأخذت تتحدث بثبات واطمئنان قالت: (إنني أفضل الآن أن أسجن خمس سنوات على أن أحيا يوماً واحداً وأنا أعلم أنني كنت مسئولة عن أكاذيب تسببت في سجن أناس أبرياء مثل هؤلاء الذين يمثلون أمامكم) وأشارت إلى المتهمين .. ثم أضافت: (إذا أردتم أن تحاكموني معهم الآن فافعلوا إن شئتم).

لم تكد المرأة تنتهي من كلامها حتى أطبق السكون على قاعة المحكمة وبدت الحيرة والارتباك على وجه القاضي وكأنه لا يدري ماذا يقول أو يفعل – ثم توجه إليها بالكلام فأمرها بقوله: (يمكنك أن تجلسي الآن).

شهادة حجة باشا:

تابعت المحكمة الاستماع إلى الشهود الذين لم تخل شهاداتهم من أقوال متناقضة أحياناً ومثيرة للضحك أحياناً أخرى وكان الحاضرون لا يكفون عن التهامس وتبادل التعليقات الساخرة طوال الوقت، حتى جاء الشاهد المدعو (أنور باشا ليتش) الشهير باسم (حجة الباشا) وهو رجل معروف بحكمته ومرحه ولكنه تظاهر أمام المحكمة بالغباء والصمم فهو لا يفهم جيداً ولا يسمع جيداً!...

فلما وجه إليه القاضي سؤاله مكث الرجل يتحدث ساعتين في مسائل لا علاقة لها بموضوع القضية .. فحاول القاضي أن يعيده إلى نقطة السؤال الموجه إليه دون جدوى فقد استمر يروى حكايات ويورد تفاصيل لا صلة لها بالقضية .. وأدرك جمهور الحاضرين أنهم

أمام مشهد هزلي في مسرحية عبثية انتزعت منهم الضحك، مما أثار غضب القاضي فتوجه للشاهد محذراً لأنه يقول للمحكمة كلاماً مختلفاً عن أقواله في محضر التحقيق .. فاعترض الرجل وقال ببساطة وهدوء: أبداً .. إنه نفس الكلام الذي أدليت به في التحقيق لكن ربما كان تسجيل الكلام هو المختلف فقد سُئلت مرات عديدة .. أنا لست متأكداً إذا كنت قلت للمحققين كلاماً مختلفاً عما قلته الآن .. فلما رأى القاضي أنه لا فائدة من هذا الشاهد المعتوه وأنه ليس في الإمكان الحصول منه على شئ أخذ يتلفت حوله كأنه يبحث عن مساعدة غير منظورة، فلما يئس وأدرك أنه لابد من إنهاء هذا الموقف الهازل أمر الشاهد بالانصراف قائلاً له: (اذهب ولا أريد أن أراك هنا مرة أخرى) فتطلع الرجل في بلاهة إلى المنصة ثم قال: (إنني متأسف جداً).

يقول على عزت: (تحول الشاهد إلى قفص المتهمين حيث كنا نجلس وألقى علينا تحية الإسلام بلهجة البشناق القدامى (الله إيمانيت) ورفع يده اليمنى ملوحاً إلينا بنفس الطريقة التقليدية .. فانفجر الحاضرون بالضحك فيما عدا القاضي ونائب الإدعاء.

حضر في هذه القضية خمسة وستون شاهداً استبعد منهم ثلاثة وعشرون شاهداً لم تتحقق في شهاداتهم شروط الصلاحية واختلفت شهادة سبعة وعشرين منهم عما ورد في محاضر التحقيق، وكرر خمسة عشر من الشهود نفس الأقوال المدونة في محاضر التحقيق.. كانوا يحفظونها عن ظهر قلب.

دفاع على عزت:

وقف على عزت يدافع عن نفسه فقال: (إنني أحب يوغسلافيا ولكني لا أحب هذه الحكومة .. وأنا لا أحاكم هنا في هذه القضية لأنني خالفت قوانين البلاد، ولكن لأنني خالفت بعض قواعد غير مكتوبة فرضتها مجموعة من أصحاب السلطات والنفوذ أباحت لنفسها أن تشرع للناس ما هو مسموح به وما هو محرم عليهم دون أي اعتبار للقانون والدستور) لم يعتذر ولم يلتمس لنفسه العفو .. كان يعلم أن المقصود بالمحاكمة هو الإسلام أكثر من أي شئ آخر .. فألقى بقفاز التحدي في وجه المحكمة وهو يضيف: (أود أن أقرر هنا أنني مسلم وسأبقى كذلك تحت كل الظروف فأنا اعتبر نفسي مناضلاً من أجل الإسلام في هذا العالم وسأظل ملتزماً بموقفي ما دام في صدري نفس يتردد .. ذلك لأن الإسلام بالنسبة لي هو اسم آخر لكل ما هو رائع ونبيل في هذه الحياة .. إنه اسم لوعد وأمل في مستقبل أفضل للشعوب المسلمة أن يحيوا بحرية وكرامة مستقبل كل شئ فيه يستحق التضحية.

أما بقية المتهمين فقد تابعوا على عزت في موقفه فلم يعتذروا عن شئ ولم يلتمسوا العفو بل اتهموا المحكمة بالظلم والتحيز وعدم الجدارة.

وصدرت الأحكام بالسجن مع الأشغال الشاقة لمدد تتراوح بين خمس سنوات إلى خمسة عشر عاماً كانت من نصيب على عزت، فلما انتقلت القضية إلى الاستئناف في المحكمة العليا خُفض الحكم عليه إلى اثنتي عشرة سنة وكان هذا بناءاً على التماسات جاءت من بعض المثقفين في بلجراد ومن خارج يوغسلافيا.

الحياة في السجن:

أودع على عزت في السجن مع كبار المجرمين وسجل في مذكراته أن القتلة كانوا أقل وطأة وشراسة من اللصوص، في هذا السجن، وهذه لمحة ثاقبة من طبائع البشر كما تعرف عليها عن قرب وملاحظة يومية في السلوك أتاحتها له ظروف هذا السجن، فقد لاحظ انعدام الضمير والأخلاق عند اللصوص حيث لا يشعرون بالذنب على الجرائم التي ارتكبوها بينما تراود القتلة مشاعر الذنب وتأنيب الضمير فتغير مواقفهم ومسلكهم.

كانت إدارة السجن تسمح للمساجين بما فيهم قطاع الطرق بإجازات يقضونها بين ذويهم خارج السجن أما السجناء السياسيون فلم يكن مسموحاً لهم بالخروج من السجن أبداً وانعكست أوضاع السجن وكآبته على مذكرات على عزت فكتب: (شعرت أنني محكوم على بالسجن إلى الأبد وأنني لن أرى أحداً ولن يراني أحد بقية حياتي .. ومع ذلك لم أستسلم لليأس .. وليس في هذا بطولة ولكن كان الأمر يتعلق في نظري بالثبات والاتساق الجواني مع الإيمان والعقيدة .. فالإنسان قد يقول أشياء يؤمن بها فعلاً ولكن عندما تأتي لحظة الحقيقة إذا بشعوره نحوها يختلف .. فمثلاً كنت أعلم أن من أهم مبادئ الإسلام وتعاليمه الإيمان بالقضاء والقدر وأن على المسلم المؤمن أن يتقبل كل ما يحدث له باعتباره مشيئة الله وإرادته .. والحق أنني لم أفكر في هذه الناحية من قبل بنفس الطريقة التي بدأت أفكر بها بعد تجربة السجن هذه المرة .. فعندما واجهت حقيقة احتمال أن أقضى بقية حياتي وأن أموت بين عتاة المجرمين لم يتناقص إيماني، وإنما انبعث في أعماق قلبي بقوة موازية لقسوة الظروف المطبقة في السجن فشعرت بنوع جديد من التناغم بين العقيدة والمحنة مما جعلني في حالة عقلية سوية متوازية وساعدني على الحفاظ على صحتي البدنية أيضاً .. وعلى العموم فقد حمدت الله كثيراً على نعمة الإيمان الذي أعانني على التفاعل بإيجابية مع محنة السجن .. ولا يمكن أن أنسى نعمة أخرى من نعم الله علي تمثلت في إخلاص أبنائي وتشجيعهم المعنوي لي في السجن).

الزمن في السجن ليس هو الزمن الذي اعتدنا عليه في الحياة العادية خارج السجن، فهو يتثاءب ويتمطى ويمضى بطيئاً ثقيلاً يجثم على القلوب كالكابوس ويكاد يقطع الأنفاس في الصدور .. وهو لا يُحسب بالأيام والأسابيع والشهور، وإنما بالساعة والدقيقة والثانية.. لذلك لم يكن على عزت يتصور في أيامه الأولى بالسجن أنه يستطيع تحمل وطأة هذا المصير وبدأت تراوده فكرة أنه قد تقدم كثيراً في العمر وأن الموت قد يأتيه في أي لحظة ليختم هذا العذاب بطريقة درامية .. ولكن في نفس الوقت كانت تراوده أفكار أخرى مضادة مؤداها أن هذا المصير الرهيب في السجن ربما كان أرحم من مصير آخر خارج السجن يستهلك الإنسان ويمتص عمره يوماً بعد يوم في صراع عقيم مستمر مع القوى الغاشمة للسلطات الشيوعية.

والحياة في السجن – كما لاحظ على عزت – بعزلتها عن المجتمع وانتفاء المشاغل اليومية تمنح لعقل المفكر مساحة واسعة من حرية الفكر والخيال والتأمل العميق .. وفي وصف هذه الحالة يقول: (كنت أحاول أحياناً أن أخترق بخيالي بعض الحجب والأسرار الكونية الكبرى فأركز على قضية بعينها تركيزاً شديداً ولفترة طويلة حتى أشعر وكأنني أقترب من بعض الحقائق الكونية التي طالما حيرتني وراوغت عقلي، فإذا بي أراها في متناول إدراكي وكأن نافذة قد انفتحت أمامي .. وكنت حينئذ أتمنى لو كنت رساماً، ففي تلك اللحظات الكاشفة كان ينتابني شعور بعجز كلمات اللغة عن التعبير عما أشاهد وأن الوسيلة الوحيدة للإمساك بتلابيب الحقيقة لا يمكن أن تتحقق إلا بالرسم لو أتيحت لي في ذلك الوقت أدواته .. كنت أقف ساعات ممتلئاً بالاستفسارات وأنا أحملق وأناضل بلا أمل للإمساك بالصور المتلاحقة في عقلي .. ومن خبرتي مع هذه اللحظات اعتقد أنني فهمت أسرار الفن الحديث بطريقة لا يستطيع أحد غير المبدعين أن يستوعبها.

تأملات سجين:

بعد أن انتهت إجراءات المحاكمة وبدأت أتكيف قليلاً مع المناخ الجديد في السجن شرعت في تسجيل ملاحظاتي وتأملاتي عن الحياة والمصير وعن الدين والسياسة وعن الكتب التي قرأتها وعن مؤلفيها وعن كل شئ يمكن أن يخطر على بال سجين متأمل استغرق في سجنه أكثر من ألفي يوم استطالت أوقاتها ليلاً ونهاراً إلى ما لا نهاية .. وقد تحولت هذه المذكرات إلى ثلاثة عشر مجلداً من ورق كبير في حجم (الفولسكاب) مكتوبة بحروف صغيرة صعبة القراءة .. متعمداً ألا يتمكن من قراءتها سواه، واستطاع أحد السجناء أن يتولى تهريبها خارج السجن ثم استقرت في سُبات طويل لمدة عشر سنوات حتى استطاع ناشر في سراييفو طباعتها ونشرها سنة 1999 تحت عنوان: (فراري إلى الحرية).

في بعض رسائله إلى ابنته (سابينا) ألمح إلى معاناته من لحظات معينة في السجن هي أشد وطأة على نفسه من أي لحظات أخرى وتلك فترة دخول الليل، فكتبت إليه ابنته تعلق

على هذه الحالة النفسية التي تنتابه عند دخول الليل رسالة تعتبر من أروع ما قرأت من رسائل تتدفق بالحب والعطف والحنان الممتزج بالعقل والحكمة .. وتكشف فيها حقيقة أنها هي أيضاً تشعر نفس الشعور عند حلول الظلام وتذكره بأن هذه اللحظات هي التي كانت تشهد لقاء أفراد الأسرة معاً حيث تتجاذب الأسرة أطراف الحديث وهم يتناولون قهوة المساء.

يصف على عزت بعض خبرات مثيرة في السجن فيقول: (قد تكون أستاذاً جامعياً أو فيلسوفاً مشهوراً ولكنك بهذه المؤهلات لن تكون حياتك في السجن أيسر فبين المساجين أفضل شئ أن تكون محامياً (مثلى) عندئذ يلجأ إليك الجميع لتكتب لهم التماسات قانونية للإفراج عنهم إلى غير ذلك من استشارات ومطالب وسوف يعترفون لك بجرائمهم ويصفون لك أحوالهم .. وكانت هذه خبرة مثيرة لي .. فهل أستطيع – بناءاً على هذه الخبرة – أن أقول إن بعض القتلة كانوا أناساً طيبين!؟ .. فقد قتلوا لأسباب إنسانية مفهومة .. أنا لا أقول إنها مبررة ولكني أقول إنها مبررة ولكني أقول إنها على الأقل مفهومة .. أحدهم قتل دفاعاً عن أبيه وسجين آخر – عمره عشرون سنة – قتل زوجته التي كانت تخونه مع أشخاص غرباء وكانت أمها تتستر عليها، وقد حُكم عليه بالإعدام أولاً ثم خُفف عنه الحكم إلى عشرين سنة .. قال: (بكيت كالطفل عندما نجوت من الإعدام) إلى جانب هؤلاء كان هناك مجرم قتل آخر لمجرد الحسد والحقد عليه، هذا السجين – لغير ما سبب ظاهر – سرق كتاباً من أحد أصدقائي وألقى به من النافذة في منطقة يستحيل استرداد الكتاب منها .. اعتدت أن أتحاور مع هذا الصديق ونتفلسف معاً .. وفي مرة ترك كتابه على حافة النافذة وذهب إلى دورة المياه فلما عاد لم يجده .. واعترف السارق لي بذلك ثم قال كلاماً غريباً: (أعلم أنك تؤمن بالله ولكني لست متأكداً من وجوده، والذي أنا على يقين منه هو أن الشيطان موجود) ويبدو هذا السارق كأنه شر محض إذا قارنته بغيره من السرّاق الفقراء الذين يسرقون بباعث من الحاجة .. فهؤلاء على الأقل لديهم باعث إنساني مفهوم وكان يمكن معاملتهم بطريقة أخرى غير السجن).

الكلام كجريمة:

من بين تأملاته الفلسفية عن السجن والجريمة يقول على عزت: (تعلمنا في المدرسة أن تاريخ الجنس البشري بدأ عندما أصبح الإنسان حيواناً تاريخياً أي عندما بدأ يكتب .. ولكنه أصبح إنساناً على الحقيقة عندما تعلم الكلام، أي أن يقول ما يفكر فيه .. ولكن جاء آخرون من بني جلدته فمنعوه من الكلام عندما اخترعوا جريمة (التلفظ) وشرعوا لها أشد العقوبات فأعادوا بذلك إلى الحقبة الغامضة من تطوره قبل أن يتعلم الكلام .. ويرجع الفضل

في هذا إلى لينين زعيم الثورة البلشفية الذي أضاف إلى قانون العقوبات في الاتحاد السوفيتي سنة 1922 معارضة أعداء الثورة بالكلام كواحدة من جرائم ستة يعاقب عليها بالإعدام).

ينتقل علـى عزت مـن هـذه النقطـة إلـى المقارنـة بموقفـه هـو عنـدما أصـبح رئيسـاً لجمهورية البوسنة والهرسك حيث كتب: (أثناء محاضرة ألقيتها في سراييفو سنة 1994 (أثناء حرب البوسنة) قام أحد المواطنين يسألني عن تراخي الرقابة على الإعلام قال:

هل تعلم يا سيادة الرئيس ماذا يكتب الآن في صحف البوسنة الآن؟ .. هذا وقت حرب، فكيف تسمح بهذا؟!..

لماذا لا تصدر قانوناً للرقابة على ما يُنشر في الصحف؟..

وكانت إجابتي كالآتي: (بعد الذي أصابني من جراء قوانين الرقابة لا يمكنني أن أكون مسانداً لمنع الصحافة من حرية الكلام .. وليس هذا مجرد التزام بمبدأ فحسب ولكنه أيضاً مسألة (براجماتية) فإني أعتقد أن التحريم والقوة لا يكسبان شيئاً عندما يكون الأمر هو أمر إقناع واقتناع عقدي .. وذكرته أن القرآن نفسه أثبت هذه الحقيقة بأروع تعبير وأبلغ إيجاز في آية واحدة قصيرة: [لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ] فإذا طبقنا هذه الآية في مجال أوسع واعتبرنا الإيمان هو كل ما يعتقد فيه الإنسان من أفكار لتبين لنا أن الإكراه لا يجدي ولا يثمر في أي عقيدة .. فهل كان الإكراه مفيداً للشيوعيين في القضاء على الأفكار المعارضة بالتهديد والتعذيب والسجن والقتل .. فتلك كانت بعض وسائلهم في قمع الأفكار؟..

لقد دلت تجربة النظام الشيوعي وبرهنت هزيمته النهائية على أن هذا مستحيل).

الانتقام غير وارد:

استمر سجن على عزت (2075 يوماً) يصفها بأنها سنوات من العمر القصير أكلها الجراد وأصبحت عدماً .. وعندما حصل على حريته وانتصر على الشيوعيين في انتخابات الرئاسة سنة 1990 كانت أكثر الأسئلة التي وجهت إليه من قبل الصحافة والإعلام تدور حول فكرة واحدة هي: (هل هناك توجه للانتقام من الشيوعيين الذين فعلوا به وبزملائه ما فعلوا؟) .. وكانت إجابته دائماً: (لا انتقام الآن ولن يحدث في أي وقت .. وبالفعل فإن كل الذين كان لهم دور في محاكمة سراييفو من الشرطة والمحققين والقضاة لم ينلهم في عهدي أي أذى بل احتفظ بعضهم بوظائفهم .. لقد عفوت عنهم كسياسي في السلطة ولكني كإنسان لم أستطع أن أغفر لهم في أعماق نفسي ذلك الظلم الذي لحق بي وبزملائي بلا ذنب أو جريرة.

هذا الموقف أشبه ما يكون بموقف رسول الله ρ من وحشي قاتل عمه وحبيبه حمزة غدراً واغتيالاً، لقد حزن النبي على حمزة أشد الحزن ولكنه لم ينتقم من وحشي عندما تمكن منه، وقبل إسلامه، ولكنه أشاح عنه ولم ينظر إلى وجهه الذي يذكره بالغدر والاغتيال، ولست أشك أن هذا الموقف كان حاضراً في عقل على عزت ووجدانه عندما انتصر على أعدائه وظالميه، فالعفو والإنصاف – عند المقدرة – مع الأعداء سمة راسخة في سلوك على عزت خلال سيرته كلها، وقد تعرض في حياته السياسية وفي حربه ضد العدوان الصربي والكرواتي لألوان من الغدر والجحود والافتراءات ما يزعزع الجبال ولكنه قابل ذلك كله بروح المؤمن المجاهد الصابر العادل، ونجح في كل ابتلاء أصابه حتى أن أعداءه أنفسهم كانوا يُدهشون، ويحسدونه حتى على محنته وإصراره ومثابرته والتزامه الأخلاقي في أحلك الظروف وأقساها.

محمد يوسف عدس
مستشار سابق بهيئة
اليونسكو
لندن